كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثانية فنون درامية/ السداسي الرابع

مقياس: مسرح مقارن

المحاضرة رقم 02 بعنوان:
" في سياق مناهج البحث المتعددة في الأدب المقارن "

في مطلع قرن التاسع عشر ولد علم الأدب المقارن، وظهر هذا التعبير لأول مرة في فرنسا سنة 1828، على يد جون جاك أمبير وبإلقائه محاضرة بعنوان الأدب المقارن la littérature comparee، وفي نفس الفترة كتب فيلمان أول كتاب منهجي في الأدب المقارن عن أدب القرن 18 وقد درس فيه أدب هذا القرن في فرنسا وانجلترا وألمانيا. ومناهج البحث فيه تتعدد وفقا للتقسيم التالي:

1. منهج البحث الفرنسي:

يعرفه فرنسوا غويار في كتابه الأدب المقارن سنة 1951، بأنه: تاريخ العلاقات الأدبية الدولية، والدارس للأدب المقارن يقف على الحدود اللغوية للأدب القومي، ويتابع حركة انتقال الموضوعات والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين أو أكثر، وهذه الحركة قد تتمثل في الأجناس الأدبية فيمكن مثلا دراسة تأثير الكوميديا الإسبانية على المسرح الفرنسي من هاردي إلى راسين، أو تأثير موليير على المسرح الكوميدي في مصر حتى النصف الأول من القرن العشرين، أو دراسة تأثير جنس الخرافة على لسان

الحيوان في صياغته العربية على يد عبد الله ابن المقفع في قصص كليلة ودمنة، ومن ثم انتقالها إلى اللغات الأخرى اللاتينية وتأثيرها من خلال ذلك على الكاتب الفرنسي لافونتين في حكاياته على لسان الحيوان fables ثم عودة هذا التأثير مرة أخرى إلى الأدب العربي عن طريق تأثر الشاعر أحمد شوقي والكاتب محمد عثمان جلال بأعمال لافونتين.

كما يمكن رصد هذا الاتجاه عن طريق حركة الآداب من خلال الموضوعات الأدبية، فيمكن دراسة موضوع أوديب وتقديم المسرح العالمي لأسطورته عن سوفوكليس في الأدب اليوناني، وكورني في الأدب الكلاسيكي الفرنسي، وأندريه جيد في الأدب الفرنسي الحديث، وكان وراء هذه المدرسة الأدباء والباحثون الكبار الذين يؤمنون بالانفتاح والاميمية وينكرون كل نزعة إلى الانغلاق والانعزالية.

تعد المدرسة الفرنسية من المدارس المؤسسة للأدب المقارن وأقواها تأثيرا بالنظر إلى جملة من العوامل التي انعشت البحث المقارن في فرنسا، أبرزها سيادة الثقافة الفرنسة في القرن التاسع عشر تزامنا مع الارهاصات الاولى لظهور هذا التيار العلمي الجديد، بينما لا تشير المدرسة الفرنسية حاليا لا إلى الوطنية ولا إلى لغة الكتابة، بل اتجاه عام خلف أتباعا ببقاع كثيرة، بما فيها أمريكا فهذه المدرسة تقترح أساسا صلبا لكل باحث جاد هو المدونة الجيدة ومعرفة فوق وطنية تعززها ثقافة لغوية وتجميع لعديد من الأحداث الفرعية تحيل على الحضارة.

وتعرف المدرسة الفرنسية باعتمادها على المنهج التاريخي في الدراسة المقارنة وعلى أثرها سميت بالمدرسة التاريخية إذ تقوم دراتها على استقصاء ظواهر علمية التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة ورصد الظروف الخارجية التي تحيط بكل من الأديب أو بالعمل الأبي سواء التاريخية والسياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الروحية أو الفكرية التي تسهم في حدوث ذلك التأثير.

ومن أبرز منظري المدرسة الفرنسية نجد كلا من بالانسبرجيه، فان تيغم، فرنسوا غويار، فييمان، وقد نادوا بدراسة علاقات التأثر والتأثير بين الأدب الفرنسي والآداب الأوروبية بشكل مباشر أو غير مباشر، ودراسة الروابط القومية دراسة تاريخية موثقة بالمصادر وكأنه فرع من فروع تاريخ الأدب.

ومن شروط اكتمال عملية المقارنة في هذا الاتجاه:

- أن تكون الدراسة بين أدبين قوميين أو أكثر، ولا تكون إلا في مجال الأدب فقط فتكون بين عملين

(أدبيين) أو أكثر، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب ومعيار القومية عند هذه المدرسة هو:(اللغة)، فلا تجوز المقارنة بين عملين أدبيين كتبا بلغة واحدة مهما كان الاختلاف العرقي أو الجغرافي.

- ضرورة وجود رابط تاريخي بين العملين الأدبيين، أي أن الدراسة المقارنة لا تكون إلا بين عملين أدبيين ثبت تأثر أحدهما بالآخر مع الاحتفاظ بالشرط السابق (الاختلاف والقومية) .
- اعتبار الثقافات وآداب أوروبا الغربية هي الموجبة والمؤثرة والقوية، أما بخصوص الآداب العربية والإفريقية فهي تتأثر فقط باعتبارها ضعيفة ولا تمتلك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى.

2. منهج البحث الأمريكي:

إذا كانت الدراسات المقارنة قد ولدت في فرنسا، في ظل انحسار الكلاسيكية، وتبلور مفاهيم قومية متباينة، وازدياد حركة الكشوف الجغرافية وما نتج عنها من استعمار، إضافة إلى الإعجاب المطلق بالعلوم الطبيعية، فإن نشوء الدراسات المقارنة في الولايات المتحدة تم لظروف مختلفة خلافا في فرنسا والقارة الأوروبية، وهذا يتحقق وفقا لمبدأين:

- مبدأ أخلاقي يعكس طبيعة الأمة، تتشكل من عناصر قومية متعددة، وتحرص أن تظل تنظر إلى ثقافات نظرة احترام.
- مبدأ فكري يقوم على حرية قراءة التجارب الإبداعية والتعرف عليها، وعلى ما تحويه من قيم جمالية وأسلوبية.

تعود الدراسات المقارنة في الولايات المتحدة إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وفي دراسة مفادها: مدخل إلى الدراسات المقارنة للمقارن الألماني أورليش فايس شتاين، فقد سعى الكاتب الأمريكي ذي النزعة الإنسانية رالف والدو ايمرسون للمقارنة والربط بين الآداب الأوروبية، وكانت تأثيرات غوته وتوماس كالاريل في أدبه وفكره واضحة تمام.

في حين صدر سنة 1962 كتاب يحوي الكثير من الدراسات المهمة لأساتذة الأدب المقارن تحت عنوان: الأدب المقارن، منهجه وآفاقه، وقد شارك فيه: ريماك، وج.ت. شو وفايس شتاين وغيرهم من المقارنين الذي يمثلون المدرسة الأمريكية.

بينما ترفض المدرسة الأمريكية كما بين رينيه ويلك في مقالته الشهيرة أزمة الأدب المقارن، أن تنحصر الدراسات المقارنة في البحوث المتعلقة بالمصادر والتأثيرات وحظ الكاتب من الشهرة، أي في التجارة الخارجية للأدب. وبالتالي حسب المقارن رينيه ويلك فإن الخروج من الأزمة التي وقعت فيها مناهج الأدب المقارن تفرض الابتعاد هن تاريخية المدرسة الفرنسية، والدخول في عالم النقد الأدبي، ومن هنا بدأت كتابات بعض المقارنين الأمريكيين مثل هنري ريماك تؤكد فكرة الإصلاحية للمفهوم الأمريكي وإن كانت دعوة ريماك تنضوي على بعد توفيقي.

وعليه، يتحقق هذا المنهج بناء على:

- دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها وعدم مراعاة الحواجز السياسية واللسانية، بحيث يمكننا المقارنة بين نصين أدبيين من بيئة واحدة ولغة واحدة وزمان واحد.
- ممارسة المنهج النقدي في الأدب المقارن والتخلي عن المنهج القائم على حصر ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من مؤثرات أجنبية، وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير الدعوة إلى دراسة العلاقات القائمة بين الآداب من ناحية وبين مجالات أخرى كالفنون، الفلسفة، التاريخ، والعلوم الاجتماعية .... الخ .
- إمكانية الاستعانة بالنصوص المترجمة وإلغاء شرط قراءة النص بلغته، أي بالتركيز على المنهج التاريخي والنزعة القومية في الدراسة المقارنة وتغليبهما، ومن ثم اشتراطها لضرورة اختلاف اللغة ووجود روابط تاريخية بين النصوص لإثبات التأثر والتأثير .

وبالتالي، فإن أهم ما قام عليها رواد المدرسة الأمريكية هو رفضها بكل ما جاءت به المدرسة الفرنسية التقليدية نظريا أو تطبيقيا، وجعلت تلك المدرسة مفهوما جديدا ودعت إلى أسس جديدة تحكم بها دراسات المقارنة.

3. منهج البحث السوفياتي (السلافي):

حرصت هذه المدرسة على تكوين أدب عالمي تجد فيه آداب العالم الثالث في إفريقيا وآسيا مكانها جنبا إلى جنب من الآداب الغربية ومنح مكانة متميزة للأدب السلافي باعتباره أداة اتصال بين الشرق والغرب، وتجديد النقد الأدبي بواسطة الفكر الماركسي، ويعد ألكسندر فيزيلوفسكي أبا للدراسات المقارنة.

وعليه، ظهرت هذه المدرسة في روسيا وبلدان الشرقية الاشتراكية وهي إحدى المدارس ذات الأهمية الكبيرة وهي مدرسة مبنية على فكر إيديولوجي، وهي مدرسة لها نسق ثقافي يختلف عن مفاهيم المدرستين الفرنسية وكذا الأمريكية، ومنه فقد نادت هذه المدرسة إلى ربط الثقافي والتاريخي والجمالي بنظام روحي لكل شعب وعدم اهمال الفروق القومية بين الثقافات والنظر اليها بكل موضوعية، وأكدت على ضرورة ربط المقارنة الأدبية بالمكون الاجتماعية للأدب.

تكتفي هذه المدرسة بأن تكون هناك متشابهات بين الأديب أو الجنس الأدبي أو الاتجاه الفني مثلا المراد دراسته، وبين نظيره لدى أمرة أخرى، وسواء بعد ذلك أكانت هناك صلات بين طرفين أم لا، بينما ترجع تلك التشابهات إلى تشابهات في البنية التحية، التي أفرزت الإبداع الأدبي على منهجها في رد كل شيء في دنيا الفكر والذوق، إلى وسائل الإنتاج وعلاقاته. وعليه لكي يصبح التأثير ممكنا يجب أن تكون ظروف البلد المتأثر أو المستقبل مهيئة ومتشابهة في الأفكار والأخلاق والموضوعات، والصور للاتجاهات المؤثرة.

يرى الدارسون أن تطور الدراسات المقارنة في روسيا وأروبا الشرقية قد مر بحقب ثلاث، وقد حدد جلاب ستيف هذه الحقب بناء على:

- حقبة الحربة النسبية، وتمتد منذ 1917 حتى 1929، وفي الحقبة لم يكن من الضروري أن يكون الباحث ماركسيا.
- الحقبة الثانية وهي تغطي المرحلة الزمنية، منذ مرحلة الثلاثينيات مروا بحقبة الحرب العالمي الثانية، وقد سيطرت عليها ما يسمى بالواقعية الاشتراكية.
- الحقبة الثالثة، وقد صبغت بقرار اللجنة المركزية الشيوعي السوفياتي سنة 1946، بضرورة التخلص من العقلية البرجوازية في الأدب السوفياتي وبعدم الخنوع للغرب.

ومن هنا ظهر مقارنون مثل السوفياتي فيكتور جيرمونسكي، أما أبرز ممثلي المدرسة السلافية فهم: ديونيز دوريزين، استيفان زويتر، روبرت فايمان، ألكسندر ديما.

بينما لا يحصر المقارنون في هذا الاتجاه الأدب المقارن في دراسة العلاقة الأدبية، أي في مشكلات التأثر والتأثير، وهذا راجع إلى العودة للمسلمات الماركسية من خلال التشابه والاختلاف الذي هو راجع إلى:

- عامل مادي، يتمثل في الواقع الاقتصادي ودرجة تطوره.
- العامل الثقافي، يتمثل في بناء الفوقي للمجتمعات وبالتاريخ الفكري لها.

المكتبة البيبليوغرافية:

- الأدب المقارن: يوسف بكار، خليل الشيخ
- الأدب المقارن: جامعة المدينة العالمية
- الأدب المقارن، دراسات نظرية وتطبيقية: أحمد درويش
- دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن: محمد زكي العشماوي